# البحث عن غد

للكاتب الإنكليزي روم لاندو

## للأستاذ علي حيدر الركابي

— ٣ —

## الفجر في سورية

### سورية وفرنسا

لقد قبل أهل لبنان الانتداب الفرنسي بلا مقاومة عنيفة، بينما بقي السوريون يعتبرونه حالة لا مبرر لها[1]. وقد عبروا عن كراهيتهم له بمقاومات مستمرة مشروعة وغير مشروعة. وكانت ثورة سنة ١٩٢٥ أبلغ هذه المقاومات أثراً، ولم ينجح الفرنسيون في قمعها إلا بعد عامين. وقد بدأت بعصيان قاده الزعيم الدرزي سلطان باشا الأطرش في جبل الدروز الواقع في الجنوب الشرقي من سورية. إلا أن هذا العصيان ما لبث أن توسع حتى عم البلاد كلها. وقد أدت هذه الثورة التي كانت سادس حركة تحريرية قام بها السوريون إلى ضرب الفرنسيين دمشق بالقنابل في شهر أكتوبر سنة ١٩٢٥ إذ ضربت مدافعهم بعض أحياء المدينة كما ألحقت الضرر الجسيم بكثير من الأماكن ذات الأهمية التاريخية مثل « الطريق المسمى بالمستقيم[2] »

وسار السوريون في جهادهم للحصول على حقوقهم الطبيعية إلى أن منحهم الفرنسيون عام ١٩٣٠ رئيساً للجمهورية ووزارة دستورية ومجلساً نيابياً. على أن الدستور الجديد لم يقض على سلطة المندوب السامي الواسعة، فهو ما زال يدير شئون سورية من مركزه في بيروت، كما أنه لم يخرج الجيش الفرنسي من البلاد. أما معاهدة سنة ١٩٣٦ التي ستوضع موضع التنفيذ بعد ثلاث سنوات من عقدها فهي تتعهد بمنح سورية استقلالها التام. والتحالف السوري الفرنسي بموجب هذه المعاهدة ليس مؤبداً كتحالف لبنان، بل هو موقت بخمس وعشرين سنة

يوجد بين الأهلين في مصر والعراق والسودان أناس يعترفون بفضل بريطانيا العظمى عليهم في الماضي، ولا يشعرون بكره نحو الأفراد البريطانيين. أما هنا فالعداوة بين السوريين والفرنسيين ذات صفة شخصية؛ وهي ليست موجهة ضد الأفراد الفرنسيين فحسب، بل إنها تتعداهم إلى أسرهم. وقد شرح لي أحد السوريين الشعور الذي يحمله أبناء وطنه بهذه العبارة: « إنني أحب فرنسا وأحترم الفرنسيين في بلادهم، ولكني أكرههم في بلادي التي باتت تئن من سوء إدارتهم »

إن أهم ما يتذمر منه السوريون هو أن فرنسا تسمي لجر المغانم المادية من وراء سورية. وهم يحملون الفرنسيين مسئولية تأخر سورية الاقتصادي منذ عام ١٩٢٠؛ وهم يتهمون موظفي فرنسا وجنودها باستعمال مراكزهم الرسمية لابتزاز المال. وقد قلت مرة لسوري: إن الرشوة وسوء الاستعمال هما عند الموظفين من التقاليد التي اشتهرت بها الادارة الوطنية. فأجاب: « من المحتمل أن تكون مصيباً في ملاحظتك؛ وأنا أؤكد لك أن الذين يؤمنون إيماناً صحيحاً بنزاهة موظفينا في عهد الاستقلال الآتي هم قليلون؛ ولكن إذا كان لا مفر لنا من الخيانة فاننا نفضل أن تذهب الرشوة إلى جيوب السوريين دون جيوب الأجانب فان صرفها في بلادنا لأرجح من صرفها في فرنسا »

ويقال إن هناك سبباً آخر ذا علاقة بالأخلاق يزيد في موقف السوريين العدائي؛ فالأسرة تلعب دوراً مهماً في حياتهم، والفساد الجنسي عندهم أقل مما هو عليه عند الأكثرية من جيرانهم العرب، ولهذا فان معظم سكان سورية يعترضون بشدة على وجود الجنود الفرنسيين (الملونين) بينهم (French coloured troops). إن بقاء الجند الأجنبي في البلاد في أيام السلم لابد أن يأتي بنتائج مضرة، وخصوصاً إذا كانت جيوش الاحتلال منسوبة إلى أقوام يشتد عند أفرادها الميل الجنسي (highly sexed)

### مستقبل سورية ومجاهدوه

كنت أود الاطلاع على المتاعب التي سيكون لها أثر في حياة

---

(١) لقد رفع المؤتمر السوري القومي إلى مؤتمر الصلح في ٢ يوليه سنة ١٩١٩ مذكرة يقبل فيها بالدرجة الأولى حماية أمريكا لسورية على أن تأخذ شكل « مساعدة فنية واقتصادية » وبالدرجة الثانية حماية انجلترا إن لم تقبل أمريكا. أما فرنسا فقد أشارت إليها المذكرة بهذه العبارة: « إننا لا نعترف بأي حق تدعيه الحكومة الفرنسية في أي جزء من بلادنا السورية ونرفض مساعدتها لنا كما نرفض أن يكون لها أدنى علاقة ببلادنا في كل زمان ومكان. (المؤلف)

(٢) استعمل المؤلف تعبير (The Street called Straight) ولعله يقصد (سوق الطويل) المعروف بـ (سوق مدحت باشا) أو أنه مزج ما بين (عمود) و (عمودي) وأراد زقاق (سيدي عمود) ذا الأهمية التاريخية وقد دمرته قنابل الفرنسيين أثناء الثورة السورية (المترجم)

سورية المستقبلة ، ولهذا قصدت زيارة كل من : بطريرك الروم الأرثوذكس وهو رئيس أكبر طائفة مسيحية في سورية ، وفارس الخوري وهو من أكبر رجال السياسة في البـلاد ، والدكتور الكيالي وزير المعارف وعميد الجامعة ، ونخرى البارودي زعيم الشباب السوري وهو السياسي الذي يحتل المكانة الأولى في قلوب الجماهير

### حديث فارس الخوري

فارس الخوري هو رئيس مجلس النواب وزعيم الحـزب الوطني [1] وقد تمكن بفضل تجاربه الكثيرة في ميـدان السياسة التي مارسها مدة طويلة أن يتمتع بنفوذ عظيم بين رجال السياسة في البلاد. وهو من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت وأستاذ في الحقوق في الجامعة السورية . وهو رجل قد أسبغت عليه مقدرته العقلية بالاشتراك مع مظهره المهيب حلة من الوقار . إلا أن جلسه لم تكن خالية من الزخرف اللفظي الذي يميل إليه بصورة جلية. وقد ذكرني وهو جالس وراء مقعده في مكتبه الخاص في دار البرلمان الجـديدة بالأستاذ نيكولاس مارای بتلر [2] . قال بلغته الانكليزية الصحيحة :

« إن سورية في نظرنا لا تنحصر بالقاطعة المعروفة بهذا الاسم اليوم، بل هي تشمل كل البلاد التي كانت في وقت من الأوقات جزءاً منها : أي لبنان وفلسطين والعراق . إن حدودنا الحقيقية يجب أن تتاخم حـدود تركيا والحجاز ومصر والبحر الأبيض المتوسط وإيران . [3] إننا لا ننكر أن توحيد هذه الأقطار مستحيل الآن ، ولهذا فإن همنا موجه أولاً إلى تشكيل اتحاد Federation للدول العربية تكون أعضاؤه مستقلة . إن اتحادنا مع لبنان هو أول خطوة لتحقيق هذه الغاية ، فان انفصالنا عنه أمر غير طبيعي . إن اللبنانيين الذين يتحدثون عن الاختلاف بيننا في الأصل وفي المصالح الاقتصادية لمبالغون. فالواقع أن وجوه الاختلاف بيننا أقل بكثير من وجوه الشبه .

(١) لا يوجد حزب وطني في سورية بهذا الاسم والحزب الوطني الذي يعتبر الأستاذ فارس الخوري من أقطابه هو الكتلة الوطنية، إلا أن رئيسها الحالي هو معالي السيد سعد الله الجابري وزير الخارجية والداخلية الذي ترأس الحزب على أثر انتخاب رئيسه السابق فخامة السيد هاشم الاتاسي لرياسة الجمهورية السورية ( المترجم )

(٢) السيد المشهور لجامعة كولومبيا في نيويورك « المؤلف »

(٣) هل يقصد أستاذنا الكبير إخراج الحجاز ومصر من دول الاتحاد العربي المنشود ؟ ( المترجم )

« إن أمامنا مهمتين رئيسيتين، ألا وهما تشكيل الجيش الوطني وتحقيق الانعاش الاقتصادي . أما الجيش فهو ضروري لحفظ كرامتنا ، وفرقة واحدة منه تكفينا الآن إذ أن الجيش الفرنسي الذي لا يوجد عندنا غيره في الوقت الحاضر قد يوجه في يوم من الأيام ضد مصلحتنا وذلك عنـد ما تفكر فرنسا في تحويلنا إلى سفتجة (billet de change) تعرضها عند اللزوم على بريطانيا أو تركيا أو — حتى — إيطاليا. وبالاضافة إلى ذلك فلسنا كالاناث حتى نحتاج حماية جيش أجنبي، فنحن قادرون على حماية أنفسنا » وهنا رفع سرواله كدجلته الأخيرة، وأجال بصره حول الغرفة كأنه يستعرض تلك « الفرقة الواحدة » ثم تابع كلامه بلهجة هادئة فقال :

« أما المهمة الثانية وهي تقوية دعائم البلاد الاقتصادية فان الوحدة العربية ستبقى خيالا إذا لم تسبقها هذه التقوية . إن ما نستورده في الوقت الحاضر من الخارج يساوي أربعة أمثال ما نصدره ، وعليه فلا بد لكل دولة عربية من تحقيق توازنها الاقتصادي قبل تحقيق الوحدة العربية المنشودة . ولن تنجح سورية في تعديل ميزانها الاقتصادي ما لم تعمل على تخفيض مقدار ما تستورده تخفيضاً شديداً ، وتسعَ إلى خلق صناعات جديدة في البلاد وتحسين الزراعة

« إن نسبة تقدمنا الثقافي تكاد تفوق نسبة ما تتحمله البلاد من تقـدم اقتصادي . فالسوري ذو ميل فطري للدراسة؛ ونحن نثقف أولادنا في الجامعات الأوربية حتى أوشك عـدد المتعلمين عندنا أن يزيد على الأعمال المفتوحة لهم »

« يتبع » علي حيدر الرفاعي